

[وقال محاورا أبا العلاء المعري ] وهي من رواثعه :

يحاورني في سجنه ، وأحاوره

وهل يعدم الأعمى صديقا يسامره

وأى عمى هذا الذى كان كاشفا

مفتحة أبصاره ، وبصائرره

تأمل فى الدنيا ، فأدرك سرها

وكل خبىء ، لنا تدوم سرائره

ووازن أفعال الرجال ، فلم تكن

سوى عبث ، واللهو تعشى مظاهره <sup>(1)</sup>

وشاهد في بغداد سوقا عجيبة

بها الشعر يشرى جلده وأظافره

فعاد إلى أرض المعرة ناضيا

رغائبه ، والمقلب تدمى مشاعره

ولازم بيتا صار سجنا محببا

تحيط به أفكاره وخواطره

إذا زاره ظام إلى بعض علمه

أفاضت عليه سحبه وقناطره

وإن لم يزره .. طار للأمس عاليا

يحدث من يهفوله ، ويناظره

تشكلت (الغفران) من فيض لمحبه

سماوية ، غنت عليها مزاهره

وحاول أن يعطى الجميع دلالة

بأن حصان الشعر يخلد قاهره

أقول له : لكن ليالك دائم

يقول : وهل للضجر باب أبادره ؟!

أقول : وخفق الحب ؟ يسكت ساعة

وتسبح في صمت المكان مباحره

إذا كنت لم أسمع صداه ، فصوته

تزلزلىنى فى كل وقت أوامره

هضوت إليه ، غير أنى حرمته

وهل يصدح المحروم والمجوع كاسره

أقول : وإهدار الأبوة ؟ لا يرى

بذلك عيبا ، فالعيوب تحاصره<sup>(2)</sup>

أقول : وهذا المشك ؟ يسرع قائلا :

وأى فؤاد تستقر خاطره

إذا كان إيمان العوام دجاجة

فإن يقيني ليس تهيدا كواسره

أقول : لقد ألزمت نفسك بالذي

ترخص ، والإنسان يعجز طائره<sup>(3)</sup>

يجيب بأن الشعر لا يمنح الذي

يظل على شط المنجاة يدوره

ولكنه يعطى لمن خاض فى الأسي

وأوغل فى الآلام ، والموج عاصره

أقول : لقد حيرت من رام فهمكم

يقول : أنا المحيران ، ضلت زواظره

لقد عشت لا أدري ، فماذا يضيركم ؟

أنا المليل مسدول عليه ستائره

تغربت عن عصرى ، وما كنت زادما

وقد يهلك العطشان ، والماء حاضره

إذا كان بعض الناس أغلى بضاعتي

فما كان قصدي أن تزيد خسائره !<sup>(4)</sup>

(1) فى س : مناظرة

(2) المقصود بإهدار الأبوة : عدم إقباله على الزواج ، حتى لا ينجب أطفالا يتعذبون مثله ، والإشارة هنا إلى بيته المشهير : هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

(3) الإشارة هنا إلى طريقة ( لزوم ما لا يلزم ) التي اتبعها المعري في ديوانه الكبير اللزوميات .

(4) تحسم خاتمة هذه القصيدة الجدال الدائر حول المعنى الحقيقي لأشعار المعري المحيرة ، فضلا عن أنها تلقي الضوء على ما كان يتمتع به النبأحي من مقدرة على الغوص في نفسيات شعراء العرب الكبار .